
الحركة الفدائية في الإسلام
قديما وحديثا

الحركة الفدائية في الإسلام

قديماً وحديثاً

تأليف:

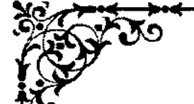
الدكتور عبد الله فياض

أستاذ مساعد في كلية الاداب - جامعة بغداد

١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

مصـدر الفـهرسـة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقـم تصـنيف LC:	DS119.7 .F39 2020
المؤلف الشخصـي:	الفياض، عبد الله، ١٩١٧-١٩٨٤ - مؤلف.
الـعـنـــــوان:	الحركة الفدائية في الاسلام قديما وحديثا /
بيـان المسـؤوليـة:	الدكتور عبد الله فياض
بيـانـات الطـبـع:	الطبعة الاولى
بيـانـات الـنشـر:	كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠٢٠ / ١٤٤١ للهجرة.
الـوصـف الـمـادي:	٥٩ صفحة ؛ ٢١ سم.
سـلسـلـة الـنشـر:	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٧٠٧).
سـلسـلـة الـنشـر:	(مركز كربلاء للدراسات والبحوث ؛ ١٢٩).
تبصرة ببليوجرافية:	يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات -).
مصطلح موضوعي:	الإسلام - تاريخ.
مصطلح موضوعي:	الفداء في الاسلام.
مصطلح موضوعي:	الفدائيون الفلسطينيون.
مصطلح موضوعي:	المقاومة الفلسطينية.
مصطلح موضوعي:	فلسطين - تاريخ - العصر الحديث.
اسم هـيـئة اضـافي:	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية





الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الكتاب: الحركة الفدائية في الاسلام (قديماً وحديثاً)

المؤلف: د. عبد الله الفياض

الناشر: مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الطبعة: الأولى

السنة: ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

جمهورية العراق/ كربلاء المقدسة

00964 7719491210
00964 7814187625

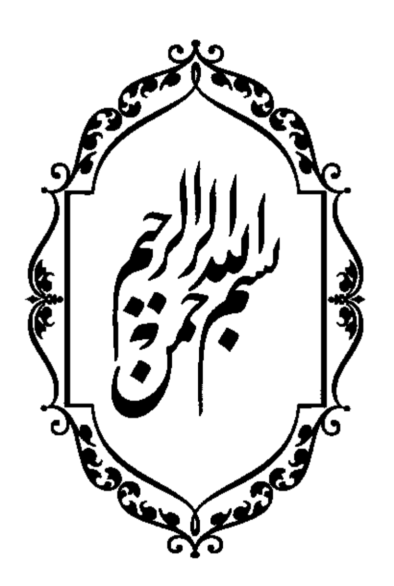
www.c-karbala.com

info@c-karbala.com
karbala.center1@gmail.com
karbala.center1@yahoo.com

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٨٢٢) لسنة ٢٠١٥م






بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المحافظ - سادتي الافاضل:

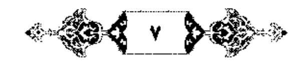
السلام عليكم ...

إنه ليسعدني أن أحلَّ في بلدكم المقدس لأحدثكم عن موضوعٍ جليلٍ، الخطر بالغ الاهمية وهو العمل الفدائي الفلسطيني، وإذا كان العمل الفدائي الذي نتحدث عنه الآن يعني الجود بالنفس في سبيل غاية نبيلة، فهو والحالة هذه أنبل الأعمال وأغلاها تضحية. وقديماً قالوا:

والجـــــود بـالـنـفـس   اقـــصى غـــايـــة الجـــود

إن القضية الفلسطينية، أيُّها الحفل الكريم الذي انبثق العمل الفدائي لتصحيحها، قضية استيطان مهاجرين أغلبهم من أصل أوربي واستيلائهم على بلاد الفلسطينيين الذين ولدوا فيها، وحولوهم الى لا جئين مجردين من أبسط حقوق المواطنة. وقد رفض الفلسطينيون هذا الوضع،كما سبق أن رفضه الجزائريون منذ عشر سنوات، وكما يرفضه الفيتناميون اليوم، والتعبير عن هذا الرفض هو المقاومة الفلسطينية وهو العمل الفدائي الفلسطيني.

والعمل الفدائي هو اليوم على طريق وضع الجماهير العربية كلها في قلب المعركة وفي إطار وحدة حقيقية متراصة هي أقوى بكثير من واقع التجزئة بين الكيانات، فهو وحده اليوم في قلب الثورة العربية، وهو وحده القادر بمسيرته المتطورة، وبما يحققه من انتصارات على أرض المعركة. على ضرب مواقع التخلف في الوطن العربي بصورة تلقائية بكونه المقياس السليم لكل ما هو وطني وثوري بعد أن كانت الشعارات والخطب وحدها المقياس خلال المرحلة السابقة.



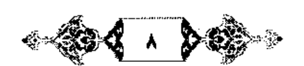
إنَّ الفداء معناه الذي بينته قبل قليل، قديمٌ في الإسلام اذ يرجع تأريخه الى بداية الدعوة الإسلامية المباركة، فقد روي أنّ قريشاً أيهّا الحفل الكريم لما أعياها أمر النبيﷺ وضاقت ذرعاً بدعوته الجديدة تآمرت على الفتك به، واتفق قادتها على مهاجمته أثناء النوم في الليلة التي حددها لهجرته من مكة إلى المدينة، وبعد أن علم الرسولﷺ بما كانوا يبيتونه له قال: لعلي بن ابي طالب عليه السلام نم على فراشي هذا وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه... وكان رسول الله ينام في برده ذلك اذا نام[1] فقال علي عليه السلام او تسلم بمبيتي هناك؟ فقالﷺ: نعم فتبسم علي ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً... فلما رفع رأسه قال له: امضي لما أمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي[2] وعندما قدم فتيان قريش لتنفيذ مؤامرتهم الشريرة أحاطوا بالدار «ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله ان هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا ذلك حتى أصبحوا فقام عن الفراش» وحين ذاك اسقط بأيديهم وندموا اشد الندم وقد انزل الله قرآناً بتلك المناسبة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ وقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾[3].

ويبدو من المثال السابق، أيُّها السيدات والسادة، إنَّ علياً عليه السلام قدم نفسه وهي أغلى شيء في سبيل غاية أسمى وأنبل وهي سلامة الرسول ﷺ تلك السلامة التي يتوقف عليها نجاح الدعوة الإسلامية، فضرب الامام علي عليه السلام بعمله ذلك مثالاً رائعاً يصلح أن يكون نموذجاً طيباً لرجال المبادئ الذين لا يبخلون بشيء بما في ذلك حياتهم في سبيل نجاح ذلك المبدأ، فهناك شبه كبير بين ما عمله علي عليه السلام وبين ما يعمله في يومنا هذا الفدائيون الاحرار الذين يقدمون انفسهم غالية في سبيل استرداد كرامة الأمة العربية

(١) ابن هشام، السيرة، ج ٢ (القاهرة ١٩٣٦) ص ١٢٧.

(٢) ابن شهر اشوب، مناقب ال ابي طالب، ج ١ (النجف، ١٩٥٦) ص ١٥٨.

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ١٢٨.



وفي سبيل استرجاع الوطن السليب بما فيه المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين.

وبعد أن اشتد ساعد الدولة الإسلامية وأخذت جيوش المسلمين تغزو معاقل المشركين، لعب العمل الفدائي دوراً كبيراً في سبيل كسب النصر وإليك أمثلة على ذلك: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبدالله الكلبي الى بني الملوح في منطقة تعرف «بالكديد» وكان جندب بن مكيث الجهني مع السرية، قال جندب حتى اذا كنا بقديد «فبعثني أصحابي ربيئة فعمدت إلى تل يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه وذلك قبيل المغرب فخرج منهم رجل فنظر فرآني منبطحاً على التل فقال لأمراته والله إني لأرى على هذا التل سواداً ماكنت رأيته اول النهار فأنظري لا تكون الكلاب جرت بعض أوعيتك، فنظرت فقالت والله ما أفقد شيئاً، قال فناوليني قوسي وسهمين من نبلي، فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي قال فنزعته فوضعته ولم أتحرك، ثم رماني بالآخر فوضعه في رأس منكبي فوضعته ولم اتحرك فقال أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان ربيئة لتحرك... قال فأمهلناهم حتى راحت رائحتهم وذهبت عتمة من الليل شننا عليهم الغارة فقتلنا من قتلنا واستقنا النعم فرجعنا قافلين..»[1].

أما المثال الثاني فقد حصل، ايها الحفل الكريم، أبان حرب الخندق. قال حذيفه بن اليمان الصحابي المشهور، كانت قريش تحاصر المدينة في غزوة الخندق فقال الرسول ﷺ من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله الرجعة اسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة وكرر الرسول ذلك مرتين فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي من بد من القيام حين دعاني فقال يا حذيفة اذهب فأدخل في القوم ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا.. فذهب حذيفة ودخل معسكر القوم خلسة، فقام أبو سفيان بن حرب فقال يا معشر قريش لينظر امرؤ جليسه. قال حذيفة فأخذت

(١) الطبري، ج٢ «القاهرة، ١٩٣٨» ص ٣١١، ١٢٠.



بيد الرجل الذي كان الى جنبي فقلت من أنت فقال انا فلان بن فلان، ثم قال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الرويح ما ترون..» ثم قام أبو سفيان وركب بعيره فتابع حذيفة حديثة فقال: ولولا عهد رسول الله ﷺ الا اني لا أحدث شيئاً حتى آتيه ثم شئت لقتلته بسهم. ثم عاد حذيفة الى النبي ﷺ وأخبره الخبر[1].

أنّ سيرة حذيفة وصاحبه كما وردت في المثالين السابقين تصلح أن تكون قدوة حسنة لكل عمل فدائي يقوم به الفرد من أجل تحقيق غاية نبيلة. فكل واحد منها التزم بتنفيذ أوامر قيادته التزاماً تاماً، كما إنّ كلا منهما أبدى جَلَداً وصبراً عجيبين أبان الخطر الشديد الذي كان يحيط بكل منهما من كل جانب، وكانت النتيجة أن نجحا بمهمتهما خير نجاح.

إنّ ما قام به حذيفة وصاحبه، أيّها الحفل الكريم جوهر العمل الفدائي وروحه وغايته التي لا ينجح بدونها.

ولو قارنا تلك السير بسير فدائيي (فتح) و«الجبهة الشعبية» وغيرهما من المنظمات البطلة لرأينا تشابهاً كبيراً بين السيرتين، وإنّ التضحية والتقييد بأوامر القيادة ونكران الذات التي ظهرت في سير أبطال الفداء وشهدائه أمثال عبد المحسن حسن، وليلى خالد، وسرحان بشارة سرحان، وأمينة دحبور وغيرهم تقوم دليلاً واضحاً على سير العمل الفدائي، في يومنا هذا على الطريق الصحيح، ويظهر أنه نابع ومرتبط بتراث أمتنا المجيدة، وبالتالي فإن نجاحَه مضمون وأكيد بعون الله وبعزة فلسطين السليبة، رغم ما تعترضه من عقبات جسام، وما تضعه الانتهازية والرجعية في طريقه من عثرات.

ولم يكن إسهام العمل الفدائي في كسب النصر مقتصراً على فترة الرسالة النبوية

(١) الطبري، ج ٢ ص ٢٤٤.



الشريفة بل ظل معروفاً في عهد دولة الخلفاء الراشدين والأمويين، والعباسيين وغيرهما من الدول الإسلامية ونورد الأمثلة التالية على سبيل المثال لا الحصر قَدّم أبو عبيدة بن الجراح في عمر بن الخطاب لفتح دمشق، وكان في جيشه شخص اسمه أبو أمامة وطلب من أبي أمامة أن يستطلع أحوال جيش الروم. قال أبو أمامة، فبعثت طليعة من مرج الصفر معي فارسان حتى دخلت الغوطة فجُسْتهُا بين أبياتها وشجراتها فقال: أحد صاحبّي قد بلغت حيث أمرت فأنصرف لا تهلكنا فقلت قف مكانك حتى تصبح أو آتيك فسرت حتى دفعت إلى المدينة وليس في الأرض أحد ظاهر[1] واستمر أبو أمامة قائد الطليعة بسيره حتى وصل باب دمشق ونام هناك لفترة ثم اخذ يراقب الباب حتى جاء الموكل بفتحه فقتله وهرب وتبعه الناس فأفلت وصاحباه من الطلب[2].

وعندما استقرت حدود الدولة الإسلامية في عهد الأمويين والعباسيين، انتقل العمل الفدائي من الصفة المرتبطة بزمان ومكان معنيين إلى الصفة الجماعية المنظمة التي تتمتع بنوع من الديمومة. واتخذ الفدائيون من الأمكنة التي تقع على حدود دار الإسلام والتي تسمى الثغور مواطن، دائمية او مؤقتة، لعملياتهم الإستطلاعية والحربية الموجهة الى بلاد العدو.

وقد وردت لفظة الثغور في أبيات مدح بها أبو المعالي الكلابي هارون الرشيد حين غزا بلاد الروم سنة ١٩٠هـ واتخذ قلنسوة مكتوباً عليها غاز حاج فكان يلبسها:

فمن يطلب لقاءك أو يرده ... فبالحرمين أو أقصى الثغور

---

(١) الطبري، ج ٥ ص ٥٩٩.

(٢) وقد ورد كلمت ثغور في كتاب موجه من الامام علي عليه السلام الى امرائه على الجيوش: من عبدالله امير المؤمنين علي عليه السلام الى اصحاب المسالح. جماعات تكون بالثغر يحمون البيضة، والمسلحة هي الثغر... وفي الحديث كان ادنى مسالح فارس الى العرب العذيب (ابن ابي الحديد ج ١٦ ص ٣١٣ ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله: اما بعد فأنك ممن استظهر به على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به لهاة الثغر المخوف «ابن ابي الحديد: ج ١٦ ص ٣١١».



ففـي أرض الـعـدو عـلى طمير وفي ارض الـترفـه فـوق كـور
ومـا حـاز الـثـغـور سـواك خلق مـن المـتـخـلـفـين عـلى الأمـور

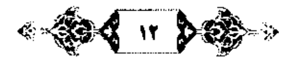
وعندما يذكر الاصطخري حدود الشام الشمالية يقول: ومما يلي الروم الثغور وهي ملطية والحدث ومرعش، والهارونية، والكنيسة، وعين زربة والمصيصة، واذنه وطرطوس وكلاهما من الشام وذلك أنّ كل ما وراء الفرات من الشام وإنما سمي من ملطية الى مرعش ثغور الجزيرة، لأن أهل الجزيرة بها يرابطون وبها يغزون، لأنها من الجزيرة[(١)].

ويورد الاصطخري تفصيلات عن مدن الثغور سالفة الذكر. وقد بيّن أن طرطوس «مدينة كبير عليها سوران من حجارة تشتمل على خيل ورجال وعدة.. وبينها وبين حد الروم جبال بين المسلمين والروم.ويقال أنه كان فيها زهاء مائة الف فارس.وليس من مدينة عظيمة من سجستان إلى كومان وفارس والجبال خوزستان وسائر العراق والحجاز واليمن والشامات ومصر إلا وبها لأهلها دارٌ أو اكثر ينزلها أهلها إذا وردوها»[(٢)] يمكننا أن نستنتج مما أورده الإصطخري عن الثغور ما يأتي:

أولاً: إنّ الثغور هي الأماكن التي تصلح لأنطلاق غارات أستطلاعية او عسكرية هجومية وإنّ سكان الثغور كانوا على صنفين: صنف مستوطن وصنف وافد. ويبدو ان الوافدين كانوا من المجاهدين الذين يفدون في الأوقات الحرجة أو في الأوقات التي يقرر بها المستوطنون نظراً لخبرتهم لشن حروب معدودة على العدو. ويحصل ماقرنناه في الأوقات الاعتيادية، أما في أوقات الحروب النظاميه بين المسلمين وأعدائهم فيكون سكانُ الثغور في طليعة الجيوش لخبرتهم في المناطق التي تجاور مناطق سكناهم. والدليل على وافدين بين سكان الثغور وهو أنت اهل الجزيرة وهي المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات شمال تكريت.بحكم كون بلادهم غير متاخمة للعدو يأتون إلى ثغري ملطيه

(١) الاصطخري، ابراهيم بن محمد، مسالك الممالك. تح: دي غويه، بريل، ١٩٢٧: ص٥٥.

(٢) الاصطخري، ص٦٤.



ومرعش من ثغور الشام ليرابطوا بها ويشنوا هجوماتهم منها وسميت بأسمهم رغم أنّها من أرض الشام على حد قول الإصطخري سالف الذكر.

ثانياً: يبدو أنّ بعض تلك الثغور. أمثال طرطوس.كانت مركزاً إسلامياً عاماً لتجمع المجاهدين الذين يفدون من بلدان إسلامية مختلفة للقيام واجب الجهاد المقدس دفاعاً عن دار الإسلام أو لتوسيع تلك الدار على حساب العدو. وهذا يفسر لنا وجود او اكثر في طرطوس خاصة بأهل الأمصار الاسلامية الكبرى. وما تلك الدور الا مركز تجمع واستعداد للمجاهدين الذين يفدون من تلك الأقطار لغرض مهاجمة العدو أو لغرض الدفاع عن دار الاسلام أو لتوسيع تلك الدار على حساب العدو. وهذا يفسر لنا وجود دار أو أكثر في طرطوس خاصة بأهل الأمصار الاسلامية الكبرى. وما تلك الدور الا مركز تجمع واستعداد للمجاهدين الذين يفدون من تلك الأقطار لغرض الدفاع عن دار الأسلام في الأوقات العصيبة. وحبذا لو اتبعنا سنة السلف الصالح فيما يتعلق بالدور التي خُصِّصَت لأهل كل قطر إسلامي بطرطوس. واتخذنا دوراً رمزية في الكرامة تخص كل واحدة منها لأهل قُطْرٍ من الأقطار العربية ولمن يرغب من الاقطار الاسلامية.ويبدو أيُّها الحفل الكريم.إنّ سكانَ الثغور الذين يقابلهم في عصرنا هذا سكان الكرامة وإربد وغيرها من القرى الفلسطينية والأردنية والسورية واللبنانية المتاخمة للحدود الأرض المحتلة كانوا موضع تقدير لدى معاصريهم، ونظروا للمهمة النبيلة التي كانوا يضطلعون بها نظرة احترام وتعظيم وقد ظهر ذلك في دعاء للإمام علي بن الحسين عليهما السلام المعروف بزين العابدين وقد ورد الدعاء المذكور في الصحيفة السجادية التي ضمت طائفة كبيرة من أدعيته وإليك مقتسبات من الدعاء المذكور:

اللهم صلِّ على محمد وآله وحصِّن ثغورَ المسلمين بعزتك وأيِّد حماتها بقوتك وأسبغ عطاياها من جِدَتك، اللهم صلِّ على محمد وآله وكثّر عدَّتهم و اشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم،وامنع حومتهم وألف جمعهم، ودبّر أمرهَم، وواتر بين مبرهم وتوحد

بكفاية مؤنهم واعضدهم بالنصر وأعنهم بالصبر. والطف لهم في المكر. اللهم أفلل بذلك عدوهم وأقلم عنهم اظفارهم وفرّق بينهم وبين أسلحتهم واخلع وثائق أفئدتهم وباعد بينهم وبين أزودتهم، وحيّرهم في سبلهم أضللهم عن وجههم واقطع عنهم المدد، وانقض منهم العدد، واملأ افئدتهم الرعب، واقبض ايديهم عن البسط... اللهم عقّم أرحام نسائهم ويبّس أصلاب رجالهم، واقطع نسل دوابهم أنعامهم،لا تأذن لسمائهم في قَطْر، ولا لأرضهم في نبات، ويقول ايضاً: اللهم وأيما غاز غزاهم من أهل ملتك، أو مجاهد من اتباع سنتك ليكون دينك الأعلى وحزبك الأقوى وحظك الأوفر، فلَقِّه اليُسْر وهيء له الأمر وتولّه بالنجح وتخّير له الأصحاب واستقوله الظهر وأسبغ عليه في النفقة. ومتعه بالنشاط وأطف عنه حرار الشوق، وأجره من غم الوحشة وأنسة ذكر الأهل والولد، واثر له حسن النية وتولّه بالعافية واصحبه السلامة واعفه من الجبن وألهمه الجرأة وارزقه الشدة وايّده بالنصر وعلمه السير والسنن وسدده في الحكم واعزل عنه الرياء.

ثم يقول: فإذا صادف عدوك وعدوه فقللِّهم في عينه وصغر شأنهم في قلبه، وأدلّه منهم ولا تدلّهم منهم وأيُّما مسلم خلف غازياً أو مرابطاً في داره أو تعهد خالفيه في غيبته أو أعانه بطائفة من ماله، أو أمده بعتاد، أو شحذه على جهاد، أو اتبعه في وجهه دعوة أو رعى له من ورائه حرمة فأجره له مثل أجره، وزناً بوزن ومثلا بمثل وعوّضه عن فعله عوضاً يتعجل به نفع ما قدم وسرور ما اتى الا ان ينتهي به الوقت الى ما اجريت له من فضلك وأعددت له من كرامتك اللهم وأيُّما مسلم أهمه أمر الأسلام أحزّنه تحزب أهل الشرك عليهم فنوى غزوهم أو هم بجهاد فقعد به ضعف وابطئت به فاقه أو أخّره عنه حادث أو عرض له دون إرادته فأكتب اسمه في العابدين، وواجب له ثواب المجاهدين واجعله في نظام الشهداء الصالحين.

ونود أيُّها الحفل الكريم، أنْ نؤكد على طائفة من القضايا التي وردت في دعاء الإمام

زين العابدين عليه السلام ومن أهمها:

أولاً: طلب الإمام من ربه ان يوفر جميع مستلزمات الجهاد لأي نائب أو مجاهد، ويهيء له سبل النجاح في مهمته النبيلة.

ثانياً: يطلب الإمام من ربه الكريم أن ينسي الغازي المذكور ذكر الأهل والولد يتولاه بالعافية، ويرزقه حسن النية، ويبعّده عن الرياء، ويصغّر شأن العدو في قلبه ويقلّله في عينه.

ثالثاً: أكّد الإمام في دعائه على ضرورة التعاون بين أهل الملة الواحدة ليتم لها النصر فجعل لمن يخلف غازياً أو مرابطاً في داره ولمن يسد غيبته في أهله ويعينه في المال والسلاح، أو الكلمة الهادفة، أجراً من الله وثواباً شبيهاً بأجر المجاهد الذي يضحي بنفسه. ويبدو مما سبق أن الامام يجعل الأمة كافة مسؤولة عن الجهاد سواء بالنفس وغيرها وسائل الجهاد في المال والسلاح وغير ذلك من ضروريات الجهاد. وإذا علمنا أنّ وفاة الامام زين العابدين الذي أوردنا دعاه لأهل الثغور قبل قليل، كانت سنة ٩٥ هجرية، تكون المرابطة في الثغور في عهده معروفة وشائعة عند المسلمين في عصره.

ولعل من المفيد، أيُّها المستمعون الكرام أنْ نشير هنا أنّ عمل المجاهدين أو الغزاة المتطوعين وهم ما نسميهم اليوم بالفدائيين، لم يكن مقتصراً بالمسالح، أو الثغور التي كانوا يصحبون الجيوش النظامية إليها أحياناً، وسنضرب أمثلة على ذلك: غَزَى في سنة (٩٨هـ) يزيد بن المهلب جرجان وطبرستان ووصلَ الى دهستان وكان أهلُها من الترك وقام عليها، وحاصرها وكان معها أهل الكوفة واهل البصرة وأهل الشام.

وكانت عُدَّة جيشه مائة ألف مقاتل سوى الموالي والمماليك والمتطوعين[1] وعندما وجه المهدي في سنة تسعة وخمسين ومائة (عبدالملك بن شهاب المسمعي في البحر إلى بلاد الهند

(١) الطبري، ج٥ ص ٢٩٣



وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد وأشخصهم معهم وأشخص معه من المطوعة الذين كانوا يلزمون المرابطات ألفاً وخمسمائة رجل... وخرج من مطوعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل..»[1] وفي سنة ١٩٠هـ فتح الرشيد هرقلة وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم وكان دخلها فيما قيل في مائة ألف وخمسة وثلاثين الف مرتزقة سوى الأتباع وسوى المطوّعة وسوى من لاديوان له[2] ويبدو من الأمثلة السابقة من المطّوعة كانوا يلازمون المرابطات وهي المعسكرات المواجهة للعدو. وأنّ اعدادهم كبيرة غالباً. وأن يرافقون الجيوش النظامية أحياناً أثناء الغزو. وتنطبق تلك الصفات على إخواننا الفدائيين في العصر الحاضر.

وفي عهد الفاطميين والجماعات الإسماعيلية التي كانت تساندهم في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي اكتسب العمل الفدائي خبرة كبيرة فقويت تنظيماته وتنوعت أساليبه حتى أصبح بمقدور العاملين بالحقل الفدائي من القيام بدور مهم في حروب المسلمين مع الصليبيين. ولعل من المفيد ان تدرس أساليب الإسماعيلية في أعمال الفداء ويستفاد من النافع منها في معركتنا الحاضرة مع الصهيونية المجرمة.

ولم يقتصر إسهام العمل الفدائي في دحر العدو على العصور الاسلامية التي أتينا على ذكرها بل انه. أيها الحفل الكريم، لَعِبَ دوراً مهماً في النزاع بين الأتراك السلاجقة والروم من أجل الاستيلاء على آسيا الصغرى. ومن المعلوم أنّ هجمات العرب على بلاد الروم بدأت بعد وفاة الرسولﷺ مباشرة ونجم عن الهجمات المذكورة التي توقّفت عند حدود آسيا الصغرى. انتزاع سوريا بكاملها واستطاع البيزنطيون أنْ يحتفظوا بالأناضول رغم الهجمات المتكررة التي شنتها الجيوش الاسلامية.

وبقي الوضع بين المسلمين والبيزنطيين بين مد وجزر حتى انتصر السلاجقة سنة

---

(١) الطبري، ج٦ ص ٣٥٣.

(٢) الطبري. ج ٦ ص٥٠٩.

١٠٧١م على الر وم في معركة (مانزيكرت) حين تقرر مصير آسيا الصغرى بكامله. واخذت جماعات من الأتراك بعد التاريخ المذكور تتوغل في قلب آسيا الصغرى صوب الأقسام الغربية من البلاد حتى تمكن أحد القادة تلك الجماعات، وهو الأمير سليمان السلجوقي، من الاستقرار فينيقيا (nicaua) التي لاتبعد كثيراً عن القسطنطينية نفسها، وقد يبدو لأول وهلة أنّ الانتصاراتِ التي حققها الأتراك كانت نتيجة للجهود السياسية والعسكرية للدولة السلجوقية. ولكننا لو نظرنا نظرة فاحصة لرأينا أنّ العمل المذكور كان نتيجة لجهود مستمرة قامت بها جماعات شعبية ذات صلة ضعيفة بالدولة السلجوقية. وكانت حكومة الدولة السلجوقية بحكم عدائها مع الفاطميين في مصر وسوريا ترغب في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع البيزنطيين، لذا كان فتح آسيا الصغرى نتيجة لجهود جماعات المجاهديين المحاربة وليس من عمل حكومة السلاجقة.

ولكي نعيين الجماعات التي قامت بفتح المناطق الوسطى من آسيا الصغرى يترتب علينا أنّ نلخص الحالة التي كانت سائدة في مناطق الحدود بين بلاد الروم والإسلام، تكّونت في مناطق الحدود منظمات عسكرية ينتمي كل منها لفريق من الفريقين المتجاورين نتيجة للحروب المستعمرة بينها وكانت تلك المنظمات على استعداد دائم لردِّ الهجمات العدو من جهة وللقيام بغارات يمتد مداها أحياناً إلى قلب بلاد ذلك العدو من جهة اخرى. وكانت غنائمُ الحروب تكون المورد الرئيس لسكان تلك المناطق، وكانت الجماعات المذكورة تلتزم بأوامر قياداتها الخاصة، وتتمتع بالاستقلال النسبي عن الحكومة، وترتب على ذلك أنّ هذه الجماعات كانت تقاوم رغبة الحكومة الرامية لفرض سيطرتها الإدارية على مناطق سكانها كما تقاوم في الوقت نفسه دفع الضرائب للحكومة، وكانت تلك الجماعات مع ذلك تطالب الحكومة المعنية بأن تمنح أفرادها ألقاب الشرف، وتمدّها بالمعونات المالية والمساعدات العسكرية، فضلا عن ذلك أن الجماعات المذكورة كانت تقبل بين صفوفها من كانوا لا يدينون بالمذهب للحكومة.

ومن الملاحظ أنّ الأتراك في القرن التاسع من الميلادي أصبحوا يؤلفون الأغلبية العظمى من المحاربين سواءً كان ذلك في الجيوش النظامية أم من أفراد حركات الغزاة التي كانت منتشرة في خراسان وبلاد ما وراء النهر، وكانت جماعات الغزاة أو المجاهدين تضم بين صفوفها عناصر عسكرية هدفها محاربة الكفار وأهل البدع، ويبدو أنّ وجود جماعات المجاهدين على حدود آسيا الصغرى يعود إلى عهد يسبق القرن التاسع الميلادي ولكنها أصبحت فيما بعد أكثر تنظيماً وأوسع انتشاراً كما يبدو أن تلك الجماعات أصبحت في القرن الحادي عشر تتمتع بقوة كبيرة مكَّنتها من مهاجمة البلاد البيزنطية بصورة مستمرة. وعندما هجم السلاجقة على آسيا الصغرى انضم إلى جيوشهم عدد كبير من المحاربيين الأتراك الذين انخرطوا في جيش الدولة مقابل منحهم إقطاعيات زراعية وإلى جانب أولئك كانت هناك جماعات قبلية محاربة احتفظت بدرجات متفاوتة من الإستقلال كما حافظت على قسط كبير من تقاليدها البدوية بما فيها حياة التنقل أحياناً وعدم الخضوع كلياً الى سيطرة الدولة، وقد اخذت الجماعات المذكورة تنخرط في صفوف الغزاة أو المجاهديين الذين أصبحت غاراتهم على العدو في تلك الفترة متكررة ومتصفة بالجسارة. وفي عهد سابق لمعركة (منزيكرت) استطاع افراد تلك الجماعات مهاجمة مدن بيزنطية تقع في وسط الأناضول امثال سيبستها وقيسارية أو إيكونيوم.

واستغلت تلك الجماعات عوامل ضعف الإمبراطورية البيزنطية، الناتجة عن هزيمتها في منزيكرت وعن استقلال الإمارات الأرمينية على الحدود، فوسعت نطاق هجماتها على الأراضي البيزنطية. وكان لنجاح كثير من هجماتها أثر كثير في اجتذاب عناصر جديدة إلى صفوفها وقد انضوت العناصر الجديدة تحت قيادة جماعات الغزاة أو المجاهدين التي كانت على معرفة تامة بأحوال البلاد وطبائع سكانها. وتمكنت جماعات الغزاة هذه أن تفتح البلاد البيزنطية بصورة تدريجية، ويخلص فيتك إلى القول أنّ آسيا الصغرى فُتِحتَ نتيجة لجهود الغزاة، أو المجاهدين ليس نتيجةً للاحتلال العسكري الرسمي للحكومة السلجوقية ويمكننا أن نعقد مقارنة بين جماعات الغزاة أو المجاهدين الأتراك وبين

المنظمات الفدائية الفلسطينية كما يلي:

أولاً: كانت جماعات الغزاة أو المجاهدين الأتراك منبثقة عن حركة شعبية مستقلة عن الحكومة السلجوقية القائمة آنذاك . وكذلك المنظمات الفدائية فإنها في صميمها منظمات شعبية ليس للحكومات القائمة أي جهد في صنعها و تكوينها.

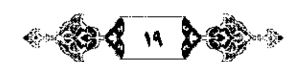
ثانياً: كانت جماعات الغزاة أو المحاربين الأتراك تحتفظ بقسط كبير من الاستقلال لذلك لم تسمح للحكومة السلجوقية أن تخضعها لإدارتها أو تجبي الضرائب من أفرادها، وكذلك المنظمات الفدائية لا تستطيع القيام بمهمتها على الوجه الأكمل إذا لم تتمتع بنوع من الإستقلال في العمل، ومن أهم واجبات الحكومات العربية المعنية أنْ تعترف لها بذلك في حدود مصلحة العمل الفدائي على أن لا يخرج هو عند تلك الحدود ولا يمس بسيادة الدولة المعنية.

ثالثاً: كانت الحكومة السلجوقية تبارك عمل جماعات الغزاة أو المجاهدين وتمدّها بالعون المادي والمعنوي الأمر الذي مكّنها من النجاح في مهمتها لذا يحسن بالدولة العربية الإسلامية أن تمدَّ يدَ العون والتأييد للمنظمات الفدائية حتى تستطيع إنجاز مهمتها على الوجه الأكمل.

وإني على ثقة، أيُّها الحفل الكريم، إنَّ المنظمات الفدائية إذا تهيأت لها الظروف التي تهيأت لجماعات الغزاة الأتراك، ستحقق ما حقّقته تلك الجماعات وتسترد فلسطين من أيدي الصهاينة الغاصبين بعون الله وتأييده.

آتينا، أيُّها السادة، على ذكر ما تعَلّق بالحركة الفدائية في الإسلام قديماً وسنورد فيما يأتي من الحديث ملخصاً لما يتعلّق بتلك الحركة في عصرنا الحاضر.

كان القرن التاسع عشر الميلادي أي عصر ظهور القوميات بمعناها الحديث، فأخذت الشعوب المضطهدة منها تسعى لبحث قومياتها وبنائها على أسس فكرية حديثة،



وظَهَر بين اليهودِ من ينادي بخلق قوميةٍ لبني جنسهم فوضع نفرٌ من مفكريهم أسس الحركة السياسية العنصرية المعروفة بالصهيونية، وكان هرتزل أبو الصهيونية من أشهر بناة الحركة الصهيونية وواضع فلسفتها وقال في معرض تصوره لبناء الدولة اليهودية: (لنفترض مثلاً، أننَّا نريد أن نطهر بلداً من الوحوش الضارية طبعاً لن نحمل القوس والرمح ونذهب فرادى في إثر الدببة كما كان الأسلوب في القرن الخامس في أوربا بل سننظم حملة صيد جماعية ضخمة ونجهزها ونطرد الحيوانات، ونرمي في وسطهم قنابل شديدة الأنفجار).

ودعا هرتزل أبناء جنسه ليبحثوا عن ارض لبناء الدولة الصهيونية المنتظرة. وقال لهم: إن الله عَيَّن فلسطين لتكون تلك الأرض المنشودة. وزعم قادة الصهاينة أنّ حدود دولة اسرائيل وردت في التوراة إذ جاء في سفر التكوين مايأتي «في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[١].

وقالوا أيضاً: إنّ التوراة خصّصت تلك الأرض لأبناء اسحاق دون أبناء إسماعيل من ولد إبراهيم «وقال إبراهيم لله: ليس إسماعيل يعيش أمامك فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك أبناً وتدعو اسمه اسحاق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمحت لك فيه... ولكن عهدي اقيمه مع اسحاق الذي تلده لك سارة...»[٢].

ولسنا هنا بصدد مناقشة الآيات الموجودة في التوراة التي بين أيدينا وهل إنّها من كلام الله كما أنزله أم إنّ هناك إضافات وقد وتحريفات ادخلت عليها، وهل إنّ إله العالمين العادل يرضى بسيطرة الصهيونية على عبادة الذين يصفهم هرتزل زعيم الصهيونية

(١) التكوين: ٠:٥١ ١٨٠

(٢) التكوين: ١٧: ٢١

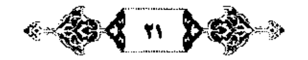
بالوحوش الضارية ويوصي بني قومه في النص الذي اقتبسته قبل قليل برمي القنابل شديدة الانفجار لإبادتهم.

لا ولكن الغريب في الأمر أنّ عدداً كبيراً من رجالِ الدين المسيحيين وغيرهم تصوروا أنّ الصهاينةَ جادين في تحقيق نبوءة التوراة المزعومة فأمدوهم بالعون والتأييد، ونسي هؤلاء أنّ الصهاينة الذين يلوحون بالتوراة بيمينهم يصافحون الاستعمار بشمالهم. وكتب هرتزل الى امبراطور المانيا يقول: «إنني حقاً أوجّه النظر الى الحقيقة، مع قدرة اليهود بنشر نفوذ ألمانيا في الشرق»[1].

كما تَعاوَن قادةُ الصهيونية مع الإمبرياليين الإنكليز ففي عام ١٩٠٢م قابل هرتزل اللورد روتشلد صاحب بنك لندن وعرض مخططاً فلسطينياً، لإنشاء مستعمرة يهودية قي الشرق الأوسط وبمساعدة بريطانيا، وفي خريف العام نفسه تحدث هرتزل مع وزير المستعمرات البريطاني الذي أبدى من جانبه تفهماً كاملاً للإنطلاق لأنّ الأراضي الخالية في سيناء كانت تهم الوزير البريطاني لأسباب كثيرة، وبعد نهاية الحرب تقدمت في ٢ نوفمبر ١٩١٧م انكلترا بتصريح بلفور حول إنشاء وطن قومي لليهود.

ومنذ نهاية الحرب العالمية أيضاً أصبحت الولايات المتحدة طرفاً في الموضوع ومن المعلوم أنّ الولايات المتحدة في نهاية الحرب العالمية الأولى تحولت إلى مقرض عالمي مما سمح لها بالاشتراك في التقسيم الإمبريالي للعالم بعد الحرب، وفي ذلك الوقت تحددت المصالح البترولية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط والأدنى، ولذا أيّدت تلك الدولة بريطانيا كل التأييد في سعيها لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين إستناداً إلى مصالحها الشخصية ولتثبيت إمتيازاتها في الشرق الأوسط والأدنى وسبق للولايات المتحدة أن أيّدت خطوات بريطانيا بشأن انشاء الوطن القومي اليهودي وقد كتب وايزمام فيها بعد يقول: «كان هذا من أهم العوامل التي شجّعت الحكومة الإنكليزية على الموافقة على هذا

(١) نيكينا. جالينا. دولة اسرائيل - ترجمة دار الهلال - (القاهرة. لا - ت.) ص٢١.



التصريح».

وفي مارس سنة ١٩١٩ قال الرئيس ولسن: «قررت الأمم المتحالفة إلى جانب التأييد القوي لحكومتنا وشعبنا وضع الأساس للدولة اليهودية في فلسطين»(١).

ويمكننا القول «بأن الامبريالية الامريكية وعلى مدار عشرين عاماً لعبت دوراً بارزاً في هذه المنطقة من العالم».

وتعاقبت الحوادث بعد ذلك فشعر الفلسطينيون بخطر الصهيونية فكانت حادثة (حائط المبكى) سنة ١٩٢٨م.ثم اشتدت مقاومة العرب وخاصة في سنة ١٩٣٦م مما حدا ببريطانيا أن تزيد قواتها هناك من ١٠ الى ٣٠ الف جندي. وفي سنة ١٩٣٧م أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض المعروف.

وعلى مدار هذه السنين لم يتوقف الصِدام بين الفلسطينين والصهاينة ولكن الصهاينة كانوا دائبين على وضع أسس دولتهم بمعاونة السلطات الإستعمارية، فمنذ سنة ١٩٢٢م حتى سنة ١٩٤٥م زاد السكان اليهود من ٨٣،٧ الف الى ٥٥٤ الف نسمة، وكذلك زادت الأراضي المزروعة التي تمتلكها الصناديق الصهيونية في فلسطين من ٢٢٥ الف دونم في سنة ١٩٠١م الى ٨٠٠ الف دونم في سنة ١٩٤٥م .

وخلال هذه المدة. كما يؤكد (اي. كون Cohen) في كتابه الصادر في سنة ١٩٣١م أنّ سلطات الإنتداب الانكليزي كانت تحاول أنْ تخدع العرب بوعودها، غير أنّ العرب كانوا يقفون دائماً ضد الانتداب وسياسته وضد فعاليات البرجوازية الصهيونية(٢) ومع ذلك فإن الحركة التحررية الوطنية للجماهير العربية ضعفت بالعداء الموروث بين كبار الأرستقراطيين من العرب ذلك العداء الذي استغلته انكلترا بمهارة.

---

(١) المصدر السابق ص٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٤٦.



ولكي تساعد السلطات البريطانية تطوير «الوطن القومي لليهود» الذي استطاع تحت تأثير الصهاينة أنْ يصبح حصناً بريطانياً. كان على بريطانيا أنْ تحسب في نهاية الثلاثينيات حساباً لحركة العرب التحررية الوطنية. ورأت الصهيونية خلال الحرب العالمية الثانية أنْ الفرصة مواتية للتحرّك ضد العرب. ومنذ بداية تلك الحرب سعت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية إلى الحصول على موافقة سلطات الانتداب بشأن تشكيل (قوات يهودية مسلحة) للاشتراك في الحرب ضمن هيئة الجيش العامل البريطاني وقد تم لها ذلك.

وعندما عرضت المشكلة الفلسطينية على هيئة الأمم المتحدة انتهى بها المطاف إلى إقرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧م. وعندما ألغي الانتداب البريطاني في مايس ١٩٤٨م أعلن المجلس الوطني اليهودي إنشاء دولة إسرائيل فاعترفت بها الولايات المتحدة بعد مضي خمس دقائق على إعلانها وقد كتب وايزمان في مذكراته فيما بعد: «أنّ ترومان قد وعدَ بكل المساعدات السياسية والاقتصادية التي تحتاج اليها إسرائيل في الشهور العصيبة المقبلة[1] ودخلت الدول العربية الحرب لتحرير فلسطين ولكنها فشلت».

ونتيجة للنزاع المسلح بين العرب واليهود اضطر أكثر من ٩٠٠٠٠٠ ألف ساكن عربي إلى مغادرة فلسطين خوفاً من العمليات الإرهابية التي تقوم بها إسرائيل وأصبح أكثر من ٧٠٪ من سكان فلسطين العرب بلا مأوى وهكذا ظهرت المشكلة المعقدة الصعبة التي جاءت نتيجة لرفض اسرائيل تنفيذ قرار هيئة الأمم المتحدة لسنة ١٩٤٨م بشأن عودة الفلسطينيين ورغم أنّ أساليب إسرائيل، أيُّها الحفل الكريم. في معاملة عرب الأرض المحتلة منذ سنة ١٩٤٨م فاقت أساليب النازيين، ورغم كل محاولاتها لفصل هؤلاء عن قضيتهم. فإن حركات المقاومة داخل حيفا وعكا وغيرها من المدن الفلسطينية كانت مستمرة منذ الاحتلال الأول. واعترفت السلطات الصهيونية بوجود خلايا ثورية تنتمي إلى منظمة فتح في شمال فلسطين المحتلة. وأعلن بنحاس كوبل مفتش البوليس العام «أن

(١) المصدر السابق ص ٤٥.



إسهام عرب إسرائيل في الانفجارات يعقد مهمتنا كثيراً، لانهم يعرفون الأماكن جيداً ويتغلغلون داخل السكان».

وكان كفاح عرب الجليل في الأرض المحتلة ضد الإحتلال الصهيوني ليس بجديد، عمر هذا الكفاح أكثر من أحد عشر عاماً عندما قامت الجبهة العربية للعمل عام ١٩٥٨م، ثم حركة جماعة الأرض في عام ١٩٦٠م كحركة سياسية هدفها تحسين أوضاع العرب في المناطق التي سيطرت عليها إسرائيل في الأراضي المحتلة من فلسطين في عام ١٩٤٨م. وكان مركز هذه الجماعة مدينة الناصرة لموقعها بين الجليلين الشرقي والغربي، وقد انظم إلى هذه الجماعة حينذاك عشرات من الشباب العربي الواعي، وبدأت نشاطها السياسي في عام ١٩٦٣م والعسكري في عام ١٩٦٥م، وبدأ النشاط السياسي بكراس أصدره المحامي صبري جرجيس كان عنوانه (بتهون) وفي هذا الكراس طالب بإسم جماعة الأرض بإلغاء الحكم العسكري، وصادر الكراس البوليس الاسرائيلي، ثم تلاه كتاب طبع على الاستنسل ووزع بصورة سرية أسماه (العرب في إسرائيل) شرح فيه وضع الستمائة ألف عربي الذين فضّلوا البقاء في منازلهم والموت فيها على الهجرة خارج الوطن الذين هم أصحابه. وطبع الكتاب المذكور بالعربية لكنه صودر ثم طبع ووزع سراً على أعضاء الحزب اليهودي الشيوعي وكان أول نجاح سياسي تحرزه جماعة الأرض التي كانت تضم شباب من جميع قرى الجليل الغربي ومن عرب مدينة حيفا وعكا والناصرة.

ومن مظاهر نشاط جماعة حركة الأرض ولجنة الطلبة العرب في الجامعة العبرية اشتراكها في اجتماع عقدته منظمات إسرائيلية ومن بينها الحزب الشيوعي الأسرائيلي بتل أبيب في الثاني من شباط سنة ١٩٦١م، وكان هدف الأجتماع تأييد مطالب جماعة الأرض بإلغاء الحكم العسكري ضد السكان العرب في الجليل الغربي والشرقي، ولكن السلطات منعت عقد الإجتماع المذكور وما كان من جماعة الأرض إلا أن لجأت للعمل السري.

وكانت مجلة «فلسطين» أول مجلة عربية تنشر كل التفاصيل عن جماعة الأرض نقلاً

عن الصحف الأسرائيلية التي تصدر في المنطقة المحتلة وكانت (الجبهة العربية) من المؤسسات التي تكونت لمقاومة الإحتلال الصهيوني، وكان تكوينها بعد سنة ١٩٥٦م وعلى أثر إرتكاب الجيش الأسرائيلي جريمة القضاء على(كفر قاسم) حين جمع من الطرقات كل من صادفها وساق أمامها جماعة من النساء والأطفال والرجال إلى ساحة القرية وهناك ذبحهم ذبح النعاج ثم بالرشاشات وبعد أن أنشأت الجبهة العربية على إثر المذبحة المذكورة أعلنت أنّ من أهم أهدافها الوقوف في وجه سياسة سلب الأراضي العربية من اصحابها والدفاع عن المظلومين العرب امام المحاكم ولدى المنظمات الدولية ايضاً.

وفي سنة ١٩٥٨م برزت الجبهة وعقدت الأجتماعات في حيفا والناصرة وفي قرى الجليل واشتد بها ساعد الأقلية العربية وأتخذت القرارات ضد القوانين والمراسيم التي تصادر بها أراضي العرب لمصلحة المستعمرات اليهودية، ووقف أعضاؤها يدافعون عن حقوق القرويين العرب في أراضيهم واستطاعت الجبهة احياناً أن تعلن الإضراب وتنظم المظاهرات، وقد سارع الإسرائيليون بالبطش بأعضاء الجبهة واعتبروها منظمة غير مشروعة.

وذكرت الصحف الإسرائيلية في سنة ١٩٦٠م أنّ كتلة عربية تكونت في الأرض المحتلة وأصدرت نشرة دورية بإسم (الأرض) دعت فيها إلى الإحتفاظ بوطنيتهم وشخصيتهم العربية وقد أثار صدور النشرة المذكورة الإهتمام لما تضمنته من مقاومة جريئة لسياسة الحكم الإسرائيلي ودعوة إلى مناهضة الحكم العسكري ومكافحة سلب الأراضي العربية، واستمرت تلك الجماعة رغم الإضطهاد والتعذيب بإصدار النشرات الأسبوعية، وفي سنة ١٩٦١م عقد الحاكم (ديبون) مستشار الشؤون العربية في مكتب رئيس الحكومة بتل أبيب مؤتمراً صحفياً، وأعلن بإسم الحكومة (أنّ هذه الجماعة تقوم بتحريض عنيف ضد الحكم الإسرائيلي، وأنّ هذا التحريض يلاقي صدى الإستحسان

والتأييد في خارج إسرائيل، وأنّ الحكومة لتنظر إلى هذه الجماعة كنواة لمنظمة عربية غير مشروعة تعمل على إثارة الأقلية ضد الدولة الأسرائيلية (وكانت السلطات تعتقد أنّ قاعدة عمل تلك الجماعة مثلث عكا «حيفا» الناصرة في الجليل وتمتد تلك القاعدة من الشمال الى الجنوب وتشمل الجليل الأعلى والأوسط والمثلث العربي حتى مضارب البدو في النقب. ومن الأسماء التي ذكرتها الصحف:

منصور كردوش، وتوفيق سليمان عودة من الناصرة، حبيب نوفل قهوجي من حيفا، محمود السروجي من عكا، إلياس معمر وإلياس جهور من قرى الجليل.

وفي تشرين الثاني سنة ١٩٦٣م وجّه جماعة من تلك الجماعة طلباً بإصدار جريدة رسمية فرفض حاكم المنطقة طلبهم. فأستمروا على إصدار النشرات السرية. وكان برنامج تلك الجماعة يتلخص بست مواد نشرت الصحف الصهيونية المادة الثالثة منه وهي: (أنّ الأقلية العربية هي جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني الذي هو بدوره جزأ لايتجزأ من الأمة العربية المنتشرة من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي).

وفي نهاية عام ١٩٦٣م ظهرت في الصحف الاسرائيلية أنباء مثيرة تتحدث الى الأوساط الصهيونية عن مذكرة رفعتها جماعة الأرض باسم (العرب في فلسطين المحتلة) الى الهيئة الأمم المتحدة وإلى كبريات الصحف وراء البحار تشكو من مظالم الحكم الإسرائيلي النازل بعرب فلسطين وتفضح أمام العالم الخارجي سياسة سلب الأراضي لصالح العمران اليهودي وإصرار الحكم الإسرائيلي على محو الطابع العربي عن المنطقة المحتلة وتذويب الشخصية العربية عن طريق الإرهاب والتجهيل المتعمد في المدارس العربية. وقد نشطت الجماعة المذكورة بعد ذلك فتخطت مستويات العمل السابقة نحو مستويات جديدة أكثر عنفاً وإيجابية في الرد على مخططات إسرائيل.

وقامت لجنة الإغتيالات السرية التابعة: «لمنظمة تحرير الأرض المغتصبة» وهو الإسم الجديد لمنظمة «الأرض» بتوجيه إنذارات إلى عدد من الخونة الذين يتعاملون مع

سلطات العدو المحتل وانذرتهم بأنهم اذا لم يتراجعوا ويعلنوا عدم تعاملهم مع السلطات الإسرائيلية فسينالون جزاء ما اقترفت أيديهم من خيانة بحق شعبهم ووطنهم وتمكنت تلك المنظمة من إغتيال عدد من الخونة ومنهم علي فالح من قرية عسفيا الذي اشترك في مجزرة كفر قاسم. وعايد شبلي من عرب الصبيح وعبد بربارة وغيرهم. كما اغتالت ضابط شرطة إسرائيلي، ومديراً لضريبة الدخل في الجليل الذي لعب دوراً في تجريد العرب من ملاكهم. واعتقلت السلطة على إثر ذلك صلاح أبو اللبن وأحمد محمود وعواد أسعد[1].

واستمرت حركة المقاومة الفلسطينية تعمل باستمرار على تنظيم صفوفها وإعادة الأمل للفرد الفلسطيني وخلق روح النضال في شخصيته.

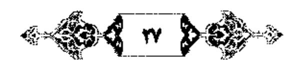
وبعد أن تحوّل الفلسطيني من لاجيء يتسكع في المخيمات ويعيش على فتات موائد الأمم المتحدة إلى ثائر يتحفز لإستعادة وطنه السليب، وقد اتخذ من الحركة الفدائية أسلوباً للعمل المبرمج الهادف. وظهرت الشخصية الفلسطينية حاملة سلاحها بعد أن أيقنت أنّ هذا هو الأسلوب الوحيد لإسترداد فلسطين. ويرى أحد المسؤولين في منظمة (فتح) أنّ الخلايا التنظيمية لمؤسستهم كانت قد انتشرت في عدد من المدن الضفة الغربية وقراها. وكان يحيطها جو السرية التامة. أما التدريب على السلاح فكان يجري داخل البيوت وفي أماكن أخرى تتوفر فيها السرية، وكان تزويد الخلايا المذكورة بالسلاح والعتاد يعتمد على مصدرين:

أ. مصدر داخلي حيث يتم شراء بعض الأسلحة المستعملة القديمة من الضفة الغربية وقطاع غزة، وكانت أثمان تلك الأسلحة باهضة.

ب. مصدر خارجي ويتم بشراء مجموعة من الأسلحة من خارج الحدود. ويرجع المصدر المذكور بداية الثورة إلى سنة ١٩٣٦م حين تَزَعّم الشهيد عز الدين القسام جماعات كبيرة من شعب فلسطين الثائر، رغم تخلف جماعات اخرى من اهل

---

(١) محمد، عبد الحفيظ (حركة الفداء) الاسبوع العربي/ ٨ كانون الاول ١٩٦٩م ص٤٥-٥٠.



فلسطين عن مواكبة الثورة.

وبعد أن حلّت النكبة عام ١٩٤٨م بقيام إسرائيل تشتَتَ الشعبُ الفلسطيني جغرافياً وفكرياً فتوزع بين القوى الحزبية في العالم العربي، وكانت تلك القوى تقتلها الخلافات وتعمل للقضية الفلسطينية من خلال الاطارات الحزبية.

وفي عام ١٩٦٤م بدأت الخلايا السرية بعد أن أكملت تدريباتها بالقيام في عمليات استطلاع واسعة لدراسة الأرض وأحوال العدو بصورة عامة وفي ١٨ آب من السنة المذكورة وقع أول اشتباك بين مجموعة استطلاعية وجيش العدو وكانت النتيجة مشجعة.

وفي عام ١٨ كانون الأول من السنة نفسها عقد أخطر اجتماع لقيادة الحركة قرر فيه البدء بالثورة واختيار اسم العاصمة للجناح العسكري من حركة (فتح).

وكانت تواجه الحركة مشكلات فنية وإدارية ومالية وغيرها. وعندما قرر المسؤولون أنّ العمليات العشر الأولى تحتاج الى مبلغ يساوي (١٠٠٠) دينار ولما لم يكن لديهم الا اربعمائة دينار تقدم احدهم واستدان مبلغ (٦٠٠٠) ليرة لبنانية من احد اصدقائه ببيروت لتغطية النفقات. واختير اليوم الأول من كانون الثاني ١٩٦٥م بداية الثورة. واشترك اثنان وثمانون مقاتلاً المجموعات العشرة الأولى التي نفذت أول هجوم منظم. وكانت الأسلحة التي يستعملها الأفراد من الأنواع القديمة والمستعملة،

وأصدر الفلسطينيون بلاغهم الأول وإليكم نصُّه:

(إتكالاً منا على الله. وإيماناً منا بحقِّ شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب وإيماناً منا بواجب الجهاد المقدس. وإيماناً منا بموقف العربي الثائر من المحيط إلى الخليج، وبمؤازرة أحرار وشرفاء العالم. فقد تحركت أجنحة من القوات الضاربة في ليلة الجمعة ٣١/ ١٢/ ١٩٦٤م وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الأرض المحتلة وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة... واننا لنحذر العدو من القيام بأية اجراءات ضد

المدنيين الآمنين العرب أينما كانوا؛ لأنَّ هذه الإجراءات من جرائم الحرب. كما وأننّا نحذِّر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان؛ لأنّ قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح الدول للدمار أينما كانت).

عاشت وحدة شعبنا ...

وعاش نضاله لإستعادة كرامته ووطنه ...

القيادة العامة لقوات العاصفة

التاريخ ١/ ١/ ١٩٦٥م(١)

وبعد فترة قصيرة قام الفدائيون الفلسطينيون بعمليات جريئة في الأراضي المحتلة منها نفس نفق «عيلبون» البالغ من الطول(٢٦٠٠) قدم والذي كان الغرض من انشائه تحويل مياه نهر الأردن. وتدرس كلية شارل شال العسكرية في الجزائر حالياً عملية النفق لطلبتها.

إنّ الثورَة التي بدأت في التاريخ المذكور استطاعت خلال خمس سنوات أنْ تقوم بألاف العمليات التي تم خلالها قصف المستعمرات الاسرائيلية مائتي مرة وقتل وجرح أكثر من خمسة آلاف جندي إسرائيلي.

وفي عام ١٩٦٩م استطاعت العاصفة وحدها تنفيذ (٢١٠٦) عمليات شملت الأرض العربية المحتلة كلها. وأصبح لديها من الإمكانات العسكرية والقتالية أفراداً وأسلحة ما يمكنها من مواصلة طريق الثورة من أجل التحرير(٢).

وتوالت العمليات العسكرية بنجاح. فجاء ببيان منظمة [فتح] الذي أصدرته في

---

(١) الاسبوع العربي العدد ٥٥٢. ٥ كانون الثاني ١٩٧٠م.

(٢) عبد اللطيف. صلاح. النور. العدد ٣٧٢ ٥ كانون الثاني ١٩٧٠م.



مطلع عام ١٩٧٠م مايأتي: «ياجماهير شعبنا العظيم: ونحن نقف على مشارف العام السادس لثورتنا العظيمة نستكشف معها آفاق المستقبل الذي يصنعه ثوارنا بسواعدهم وبنادقهم المشرعة. لا بد لنا من وقفة قصيرة نتعرف من خلالها على أبرز ملامح النمو التي حققتها ثورتنا من خلال مسيرة الخمس سنوات الماضية هناك الكثير من الملامح البارزة التي حققتها ثورتنا منذ أن نفذت قوات العاصفة عمليتها الأولى وحتى قامت بتنفيذ آخر عملياتها اليوم رقم ٣٥٢٠ لكننا نريد هنا أن نلقي الضوء على التصاعد العسكري خلال السنوات الخمس الماضية فقط، في عام ١٩٦٥م نفذ ثوار العاصفة (١٣١) عملية عسكرية».

وفي عام ١٩٦٦م نفذ ثوار العاصفة (٥٩) عملية عسكرية وفي عام ١٩٦٧م نفذ ثوار العاصفة (١٥٤) عملية عسكرية، وفي عام ١٩٦٨م نفذ ثوار العاصفة (٧٢٧) عملية عسكرية وفي عام ١٩٦٩م نفذ ثوار العاصفة (٢٤٤٢) عملية عسكرية ويقول البيان: وقد شملت عمليات هذا العام أرجاء أرضنا المحتلة كافة من الهضبة السورية المحتلة شمالاً إلى إيلات جنوباً ومن النهر حتى البحر، وخلال الخمس سنوات الماضية لم تكتف ثورتنا بتصاعدها بالكم أي في عدد العمليات ولكنها تصاعدت في النوع[1].

وقامت المنظمات الفدائية الأخرى أمثال: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة العربية لتحرير فلسطين. ومنظمة الصاعقة وغيرها بأدوارها الكبيرة من الكفاح المقدس ضد سلطات الاحتلال الصهيونية. يبدو من العرض السابق أنّ الثورة الفلسطينية ركّزت خلال تلك الفترة أسسَها على المستوى القومي والدولي،وقال ديان في بداية قيام الثورة انها: كالبيضة استطيع أن افعصها في يدي متى أشاء، ولكنّه تراجع بعد أن اثبتت الثورة وجودها فقال: «على الإسرائيلين أنْ يوسعّوا قبورهم».

وبعد أن أتينا أيّها السادة على ذكر الخطوط العامة الحركة الفدائية في الاسلام قديماً

(١) الثورة. العدد ٤١٤. ٢ كانون الثاني ١٩٧٠م.



وحديثاً نطرح السؤال التالي وهو: ما فوائد الحرب الفدائية المعاصرة للقضية الفلسطينية؟

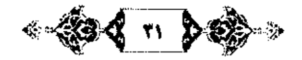
اولاً:

بيان جوهر القضية الفلسطينية للعالم وتوضيح هدف الفدائيين الرامي باسترجاع حقوق شعب فلسطين. لقد كانت القضية الفلسطينية قبل قيام الثورة الفلسطينية في نظر كثير من شعوب العالم تتلخص ببضع مئات الآلاف من اللاجئين يعيشون على معونات الأمم المتحدة حتى يتم تعويضهم عن ممتلكاتهم ثم يسكنونهم في البلدان التي توافق على قبولهم.

وبعد أن قامت الحركة الفدائية وأثبتت وجودها على الصعيدين الإعلامي والعسكري تغيّرت نظرة الكثيرين، من أفراد وشعوب القضية الفلسطينية. وبدأ العالم ينظر لتلك القضية على أنّها قضية شعب فقد وطنه، فحصلت لديه ردود فعل تجاه المحتلين من الصهاينة. فانخرط ذلك الشعب بصفوف المنظمات الفدائية التي آمنت بان الثورة المسلحة هي الطريق الوحيد لاسترداد وطنه السليب. واخذت النظرة الجديدة تظهر في اتوال الصحف والوكالات العالمية وعلى لسان كثير من رجال العالم المعروفين: قال صحيفة الديلي تلغراف البريطانية: «إنّ الفدائيين الفلسطينيين هم أحدث وأهم قوة عسكرية في معركة السنوات العشرين الأخيرة ضد إسرائيل[1].

وقالت وكالت أنباء شينخوا بمناسبة انتهاء عام ١٩٦٩م: «بعد مضي عام آخر من القتال المعقد والشاق تتطور الفدائيون الفلسطينيون البواسل أكثر وأكثر، ونموا أقوى وأقوى. وأنزلوا ضربات جديدة بالامبرايالية الأمريكية والصهيونية أداتها للعدوان. وكما الشمس المشرقة فإن النضال المسلح للشعب الفلسطيني مليء بالحيوية والنشاط «إن العمليات العسكرية للفدائيين» قد اتسع أيضاً نطاقها في الكمين للدوريات والهجوم على

(١) النور. ٢٧٢ السنة الثانية ٥ كانون الثاني ١٩٧٠م.



المراكز العسكرية إلى معارك إبادة مخططة على نطاق كبير ملحوظ وتوسعت أيضاً مناطق الفدائيين باستمرار وانتشرت مراكز شن الهجوم في كل المنطقة من الأرض العربية التي تحتلها إسرائيل وتقول أيضاً:

«إنّ الفدائيين الفلسطينيين يقاتلون ببسالة من أجل التحرر الوطني ويقاومون بحزم المخططات الإجرامية الرامية لتفكيك وخنق النضال المسلح للشعب الفلسطيني تحت شعار ستار التسوية السلمية، إنّهم مليئون بالثقة الراسخة ومستعدون لخوض غمار معارك جديدة لانتزاع إنتصارات جديدة في عام ١٩٧٠»[١].

وذات مرة دعت لجنة التضامن الفرنسية العربية إلى ندوة مفتوحة وكان الموضوع الذي تم بحثه هو: «هل إنّ حركةَ المقاومة الفلسطينية مشروعة؟» .

وشارك في الندوة كل من السيد بيير لبران عضو المجلس الاقتصادي الفرنسي الأعلى والسيد ترنوار رئيس الجمعية والسيد جورج هونتارون المدير العام لصحيفة تيمونياج كويتيان الأسبوعية وغيرهم.

وقال ترانور: «انّ هناك اوجهاً كثيرة للشبه بين المقاومة الفرنسية ضد الإحتلال النازي في الحرب العالمية الأخيرة والمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال بين لبران الفكرة نفسها تظهر في الحالتين، وقال: إنَّ الحركتين تشتركان في كونهما موجهتين ضد قوات الاحتلال. هذا وإنّ الفرنسيين يعتبرون مقاومتهم للنازي عملاً مشروعاً. فإن عليهم وعلى العالم أجمع أن يعتبر حركة المقاومة الفلسطينية مشروعة هي الأخرى».

ثم قال مونترون: كما أنّ المقاومة في فرنسا كانت في جوهرها نابعة عن شعور وواجب وليس فقط نتيجة النداءات الموجهة إليها من الخارج فكذلك شأن المقاومة الفلسطينية فإنها هي الأخرى نابعة عن شعور الفلسطينيين بحقوقهم المهضومة والواجب الملقى على

(١) النور. العدد ٣٧٢.

عاتقهم لأسترجاعها كما واضاف أنْ هذه المقاومة لابد أن تكون ثورية ويشارك فيها جميع أفراد الشعب.

وعاد ترانوار إلى الكلام فبَيّن أوجه الشبه بين حركة المقاومة الفرنسية وحركة المقاومة الفلسطينية كثيرة منها الشعور بالإهانة وتسمية المحتل للمقاومة بالإرهابيين ولجوء المحتليين إلى أعمال انتقامية وحشية كهدم الدور والتعذيب غالباً مايؤدي إلى القتل، كما سبق لموشي ديان أن صرح بضم غزة وغربي الأردن إلى إسرائيل عن طريق إنشاء المستعمرات الإسرائيلية وهذا يشبه معاملة النازين لفرنسا وضم أقسام كالألزاس واللوريين إلى المانيا في حينه. وهكذا فإذا ما أدت المقاومة إلى تحرير فرنسا فإن المقاومة الفلسطينية سائرة نحو تحرير فلسطين[1].

ويبدو مما سبق أنّ دور حركة الفداء في توضيح القضية للرأي العام العالمي وكسبه إلى جانبها كان كبيراً كما كان أعظم تأثيراً من الأساليب التي اعتمدها العرب في العشرين سنة الماضية. إنّ الذين يتحدثون عن إمكانية كسب الرأي العام العالمي بالشكوى من جرائم اسرائيل والصراخ والشعارات والمناورات لا يدركون طبيعة المعركة التي تتطلبها المرحلة الراهنة.

إنّ هذه المرحلة تتطلب من العرب اعطاءً كاملاً للمعركة شبيهاً بالعمل الذي يجسّده العمل الفدائي بطولات في الأرض المحتلة. وبعد أن كان العالم قبل ظهور حركة الفداء يفهم من حرب إسرائيل مع العرب بأنها حرب حكومات مجاورة مع دول مسالمة، أصبح يدرك أنّ الحرب المذكورة حرب شعبية يشنها شعب لتحرير وطنه.

ثانياً:

إسهام العمل الفدائي في بعث الشعب الفلسطيني وتمكينه من معالجة قضيته بنفسه.

(١) مجلة الف «ندوة في باريس عن المقاومة العربية» ١٨ تشرين الاول ١٩٦٩م.



إنّ الوضع بالنسبة للشعب الفلسطيني طيلة العشرين عاماً الماضية كان مقلوباً رأساً على عقب. اذا اصبح الفلسطينيون في المؤخرة لا بالمقدمة بالنسبة لقضيتهم وقد خلت الساحة فيما مضى من الشعب الفلسطيني الذي شتته الصهيونيون. ثم زاده العرب تشتيتاً وحاولوا طمس شخصيته وإنهاء قضيته. آثار الصهيونيون الرعب والهلع في نفوس الفلسطينيين بما ارتكبوه من فظائع في كفرقاسم ودير ياسين وغيرهما.كما عملوا بمختلف الوسائل لحمل الشعب المذكور على ترك أرضه.

وجاءت الحكومات العربية السبع ذات الأنظمة البالية والنفوس الخائرة والإيمان المتزعزع متظاهرة بإنقاذ فلسطين من الصهيونية فطلبت من الشعب الفلسطيني أن يترك أرضه ريثما يتم لها طرد الصهاينة منها. فاستجاب الشعب وانخدع بكثرة جيوشها ذات الحول والطول كما انخدع بفصاحة قادتها وقدرتهم على تنميق الكلام الفارق والتهريج المضلل. وليت العرب حينذاك تركوا الفلسطينيين وشأنهم.

أقول: لو تركوهم يموتون بأرضهم أو يحررونها من الصهاينة لما وصلت قضية فلسطين لما وصلت إليه اليوم.

حدثني أحد ضباط الجيش العراقي الذي اشترك في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م أنّه اقترح على قائد فرقته أن يوكل إليه تنظيم جماعة من الفلسطينين وتسليحهم ليقوموا بواجبهم في الحرب المقدسة فوافق القائد على ذلك، وقد استطاع الضابط المذكور أن يجمع من أهل البلاد ثمانمائة مقاتل وزودهم بالسلاح والعتاد ثم قادهم لشن غارات محدودة على قوات العدو وممتلكاته. وكان النجاح حليفه في معظم العمليات العسكرية التي قادها. ولم يمضي وقت طويل حتى استدعاه القائد نفسه وأبلغه أنّ القيادة العامة استنكرت عمله وتقول إنّ تسليح الفلسطينيين وإشراكهم بالحرب أمر لم تتفق عليه الحكومات العربية. وبناء على ذلك يكلفه بترك العمل الذي أوكل إليه والانتقال الى مركز القيادة للرحلة. وبعد أن فشلت حجج الضابط وتوسلاته في إقناع القائد وترك

العمل مع طلائع الفلسطينيين وقبع في مركز القيادة لا عمل له إلا استقبال الضيوف وإقامة الولائم.

بقي الفلسطينيون قبل قيام العمل الفدائي يعيشون على هامش الحياة لا حول لهم ولا طول وليس لهم من أمرهم شيء، وأصبحوا في حالة يرثى لها فهم يعيشون في المخيمات شعثَ الشعور غبرَ الوجوه يفترشون الثراء ويلتحفون السماء. والمسلمون منهم يقاسمون النصارى صنوف الذل، ويشربون معهم حتى الثمالى كأس الهوان، وكلهم يستجير عن عسف العالم متمثلاً بهيئة الأمم المتحدة، ويجأر من الشكوى من الغرب متمثلاً بالولايات المتحدة الأمريكية. وبريطانيا وألمانيا الغربية ولكن الفلسطينيين الذين يئسوا من رحمة حكام البشر متمثلين في هيئة الأمم المتحدة، ومن جديد حكام المجتمع العربي متمثلين في حكوماته وفي جامعته العربية، ويئسوا من عطف العالم الإسلامي متمثلاً في حكوماته ومنظماته الاجتماعية أقول عندما يئس الفلسطينيون من كل هؤلاء حزموا أمرهم ثم رفعوا رؤوسهم إلى السماء يستمطرون رحمة الله التي وسعت كل شيء، وشملت بعطفها وحنانها كل مظلوم. فكانت استجابة الله سريعة وفعّالة تمثلت في بعث الأمل في النفوس والقوة في الأبدان والخير في العمل والنجاح في المثابرة وما كادت رحمة الله تنزل من السماء حتى ولدت المنظمات الفدائية الفلسطينية البطلة، وكانت فتح المغوارة في الذؤابة منها. وبعد أن اشتد ساعد تلك المنظمات أخذت تكيل لبني صهيون الضربة تلو الضربة. وتسدد لنحورهم السهم تلو السهم فأحالوا الأرضُ عليهم جحيما. والسماءُ حمماً، والراحة قلقاً، والعمران خراباً، والطعام زقوماً والقوة ذلة، وهي في كل هذا مصداق لقول الشاعر:

ما حك جلدك مثل ظفرك   فتول انت جميع امرك

وهذا أصبح المستقبلُ للذين يقاتلون في سبيل بناء ذلك المستقبل. ومصير فلسطين اليوم بيد المنظمات الفدائية ماقام منها ووقف على أرض المعركة أو ما لا بد أن يقوم

ويتطور من خلال المعركة لقد حمل الفدائي العربي سلاحه ومشى فأما أن يقتل وأما أن يُقتل إما أن يدمر العدو وإما أن يدمره العدو، ولا خيار بينهما، وهذا طريقه اليوم إلى صنع المستقبل، إنّه يمشي في خطر ويصنع الخطر وينادى الجميع إلى القتال فهو لم يعد يطيق الإنتظار. وليس بوسعه أن يصدق نداء الامم المتحدة. ولا يستطيع الإصغاء لخطب المتحمسين من حكام العرب ولا وعظ الوعاظ من علماء المسلمين.

ثالثاً:

وضعت الحركة الفدائية المقاومة العربية لعامة والفلسطينية بخاصة بإطارها الشعبي كانت الصهيونية قبل قيام الحركة الفدائية تعمل بجميع الوسائل على نكران وجود الشعب الفلسطيني فقالت: «إنّ فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» وحين نجحت إسرائيل باحتلال فلسطين وسعت فكرتها السابقة. بعد أن أحكمت تحالفها مع الإمبرياليين الأمريكيين. وعدت وجودها في قلب الوطن العربي قد قام بالأساس لينفي الوجود العربي إلا في رقعة فلسطين وحدها بل لنفي ذلك الوجود على مدى الأرض العربية كلها. فالمتتبع لوجود اسرائيل يخرج بنتيجة هي أنّ ذلك الوجود قائم منذ البداية على العنف والقسر والإبادة والتهجير ومحو الآثار الحضارية العربية والإسلامية أي إنه يهدف إلى إحلال قومية محل حضارة وقومية اخرى.

وكان معظم الحكام العرب والقادة التقليديون لشعب فلسطين لايدركون الأهداف البعيدة للحركة الصهيونية فتكلموا بأسم ذلك الشعب دون أن يأخذوا تفويضاً منه. وصنعوا مستقبله دون علمه ورضاه، وقيل ان حاكماً عربياً معروفاً طلب منه ان يستعمل نفوذه وماله لإيقاف التيار الصهيوني فقال ان اليهود في ذمة المسلمين ولا خطر على المسلمين وبلادهم منهم.

وقيل أيضاً: إن عائلة فلسطينية متنفذة باعت للصهاينة آلاف الدونمات من أرض شعب فلسطين دون أن تحسب حساباً لما جره عملها من أخطار على أهل فلسطين.

فالحاكم العربي المذكور والعائلة الفلسطينية المتنفذة لا يمثلان إرادة شعبية، ولا يشعران بشعور شعبيهما لأنّهما لم يشاركاه آلامه وآماله فهم والحالة هذه ليسوا من طبقته. ولو فهم الحاكم المحترم القول الآتي للزعيم الصهيوني [ارميا هو هلبزن] لما قال قولته السابقة. يقول الزعيم المذكور: «يجب على الشعب اليهودي أن يسيطر على العالم. ولا نترك إدارة الأمور في أيدي الكفرة..إنّ العرب هم اولاد عمليق ويجب أن نعمل بهم كما أمرنا النبي صموئيل.. إنّ ملكوت إسرائيل لا يقوم بالمفاوضات الدبلوماسية بل بالدم والسلاح والنار... لقد حان الوكت لكي ننتقم... ان هذا العالم قد خلق بدون مساواه ويجب أنّ نبقى في عدم المساواة إلى الأبد».

إنّ غياب الدور الشعبي عن دنيا العرب قبل قيام الحركة الفدائية كان من أهم الأسباب التي أوصلت القضية الفلسطينية بخاصة والعربية بعامة الى الأجيال الحاضرة. والدور الشعبي أمر لابد منه لإحداث التغير الثوري الحقيقي ذو الجذور العميقة، وفي الحالات القليلة التي تسلمت فيها الشعوب العربية مقاليد الأمور كانت نتائج الكفاح العربي مع الصهيونية والإستعمار مشرِّفة، وخير مثال على ذلك ثورة الجزائر بالأمس والثورة الفلسطينية اليوم.

إنّ الجيل الذي يحمل السلاح اليوم سواء كان في صفوف الجيوش العربية النظامية أم في صفوف الحركة الفدائية، ليسترد أرض الأجداد من الصهاينة المغتصبين من صميم الشعب يشعر بآلامه ويفهم الأخطار المحيطة به.

إنّ الحركة الفدائية أعادت الأمور التي نصابها فجعلت الشعب الفلسطيني يعالج جراحه بنفسه ويعمل على استرداد حقوقه بوسائله الثورية الصحيحة واعتقد أنّ الحركة الفدائية لا يقتصر نفعها على فلسطين بل سيشمل العالم العربي أجمع وسيكون من شأنها إحداث التغيير الثوري الحقيقي في دنيا العرب.

وبعد ما قدمنا، أيُّها الحفل الكريم نطرح السؤال التالي وهو: ما مقومات أو عوامل نجاح العمل الفدائي الفلسطيني؟



إنَّ الظروف التي يعمل بها العمل الفدائي شاقة وتتطلب جهوداً جبارة للتغلب عليها ولكي نضمن نجاح ذلك العمل لابد من تحسين تلك الظروف إذا تعسّرت ازالتها كلياً ويمكن أن نلخص تلك الظروف بما يأتي:

اولاً: غياب الدور الشعبي في كثير من البلدان العربية التي يستمد منها العمل الفدائي العون والتأييد، ولا يمكن أن يكون ذلك التأييد ذا جدوى إذا كان مرتبطاً بإرادة الحكام دون الشعوب التي تحاسب أنظمة الحكم على أخطائها.

ثانياً: وجود عدو شرس في قلب الوطن العربي يخطط وينفذ ويحتل كلما سنحت له الفرصة أرضاً عربية جديدة معتمداً على تفوقه التكنولوجي وإخلاص قادته. ويستفيد العدو المذكور من الظروف المحلية والخارجية وعلى رأسها التناقضات والخلافات بين الأنظمة العربية المختلفة ذات القوى العسكرية المبعثرة والمشغولة أحياناً بمشكلات داخلية.

ولما كانت قدرتنا على تغير تلك الظروف محدودة فلا بد من عمل دائب لتحسينها. أما عوامل نجاح العمل الفدائي فيمكن تلخيصها بما يأتي:

اولاً: العمل على تجسيد الخطر الصهيوني أمام الشعوب العربية كافة لتعد نفسها لإزالته.

إنَّ المتتبع لما جرى في مؤتمر الرباط، وما يجري في لبنان اليوم وفي كثير من البلدان العربية يدرك أنّ الحكام العرب بخاصة والشعب العربي بعامة مازالت تجهل الكثير عن الخطر الصهيوني، ولا زال بعضها يتصور أنّ اسرائيل تكتفي بأحتلال فلسطين فقط، إنّ بعضنا لايزال يتسائل عن سبب انغمارنا في الكفاح ضد إسرائيل. وإنّه لمن العجب أن يجهل هؤلاء أنّ إسرائيل تضع التوراة والتلمود في يمينها والسيف في شمالها وأنّها تجعل من خرافات التوراة سبباً للقضاء على الأمة العربية وتوسيع رقعة احتلالها لتشمل

البلاد الواقعة بين النيل والفرات ثم تقفز بعدها بحجة جديدة إلى بلاد عربية أخرى. إنّ إسرائيل عصابة توسعية، وإنّها جسمٌ غريبٌ مفتعل في هذه المنطقة، اقيم ليكون قاعدةً ومنطلقاً ليشلَّ تقدم العرب اولاً. ويمكن المستعمرين من الاستمرار بنهب ثورات الشرق الأوسط ثانياً، وليكون وسيلة لتحقيق الأهداف التي عجزت عن تحقيقها الحروب الصليبية ثالثاً. وعلى العرب أن يعلموا إنّها أصاب (فلسطين) ويصيب الأردن، ومصر وسوريا ولبنان إلى آخر قائمة الدول العربية وقد لخصت أهداف زيارة إسرائيل البعيدة في جريدة الصهاينة (ها آرتيس) بتاريخ ٢٤ كانون الثاني سنة ١٩٦٨م حيث نقول: (إنّها التأييد الكامل لمصالح الدول الغربية الإستراتيجية في الحرب الباردة ضد بلدان أوربا الشرقية ومبادرة عسكرية جديدة ضد البلاد العربية واحتلال الضفة الشرقية للأردن. واسقاط نظام الحكم الحالي في الجمهورية العربية وكل النظم السياسية التي تناصره. والإستيلاء على أنابيب بترول العراق وآرامكوا واحتلال شاطئ المملكة العربية السعودية المطل على خليج العقبة)[1].

ثانياً: إعادة دولة فلسطين في الأردن وغزة.

إنّ وجودَ دولة فلسطين يعمل منها الفدائيون لاستعادة وطنهم أمر ضروري لنجاح العمل الفدائي طرح اقتراح إعادة دولة فلسطين الكاتب العربي المعروف (أحمد بهاء الدين) وناقش الإقتراح المذكور عدد من الكتاب. ثم نشر أصل الاقتراح وما دار حوله من مناقشات في الكتاب الموسوم: بـ «إقتراح دولة فلسطين وما دار حوله من مناقشات»[2] بين الأستاذ بهاء الدين أنّ معالجة العرب للقضية الفلسطينية فيما مضى كانت خاطئة وأنّ الحصيلة التي خرج بها العرب بعد ما يقرب من عشرين سنة هي مجرد (الرفض) اللفظي للوضع الذي تختلف عن سنة ١٩٤٨م حين كسرت إسرائيل بعدوانها

(١) نيكيتينا. جالينا. المصدر السابق ص ٣٢٥.

(٢) بهاء الدين احمد،اقتراح دولة فلسطين وما دار حولهم من مناقشات (بيروت، ١٩٦٨م).



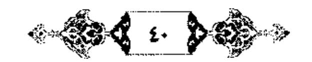
هذا التجمد وأصبحنا الآن أمام واقع ساخن جديد.

ويقول الكاتب إنّ أهم شيء «للدفاع» ضد اسرائيل قبل أن نتمكن في ظروف أخرى من الخروج من خنادق الدفاع. ولإحياء قضية فلسطين هو: أنْ تكون هناك فلسطين. وبين الكاتب أيضاً إنّ اليهود بعد ١٩٤٨م حولوا اليهود المشردين إلى مواطنين مزارعين وصناع ومحاربين، والعرب قبلوا تحويل المواطنين الفلسطينيين إلى مهاجرين ولاجئين. وبعد أن برزت فكرت إيجاد الكيان الفلسطيني وجدت المنظمة وهي فاقدة أهم شرط من شروط التعبير عن شعب وعن وطن «الأرض» هذا مع أن الأرض، مهما كانت قد تقلّصت، فأصبح (النضال) الفلسطيني يدار من القاهرة وبيروت وغيرهما من البلاد العربية.. إلا من فلسطين وقد نتج عن الوضع المذكور أنْ تصور العالم بأنّه لم تعد فلسطين، ولا شعب مطالب بأرضه وهو شعب فلسطين إنّما هي دول عربية مجاورة تقاوم دولة أخرى إسمها إسرائيل.

ويبين الكتاب أنّ ظروفاً دولية واستعمارية فرضت تقسيم كوريا وفيتنام ولكن الكوريين والفيتناميين احتفظوا بِقِسم من بلادهم وظلُّوا يعملون لاستعادة الأقسام الأخرى. ثم يقرر ضرورة إعادة دولة اسمها فلسطين. تضم الأردن بالضفة الغربية للنهر والضفة الشرقية للنهر وتضم قطاع غزة. ويرى أنّ إعادة اسم فلسطين في حد ذاته سوف يكون له إثرٌ معنوي وبالتالي سياسي كبير أزاء العالم وفي المراحل التالية للقضية فتظهر حينئذ دولة فلسطين التي اغتصب جزء منها ويعمل شعبها لإسترداده. ويستمر الأستاذ بهاء الدين في توضيح مقومات اقتراحه المذكور ويبّين أسس سلامته[1].

ولا نريد هنا أن ندخل بالتفصيلات المتعلقة بها لهذا الاقتراح وما عليه، ونترك ذلك للكتاب الذين تولوا مناقشة الموضوع في الكتاب المذكور ولكننا نقر الإقتراح السابق ذكره ونعدّه بداية صالحة للعمل من أجل استرداد فلسطين على يد الجيل الثوري الجديد

(١) بهاء الدين. احمد، المصدر السابق ص١٢- ١٦ وما بعدها.



وهو جيل المقاومة الفدائية الفلسطينية أولاً، والجيل العربي الثوري المنبثق من القاعدة الشعبية ثانياً. ذلك الجيل المؤمن بكرامة أمته. والحريص على حفظ تراثها الحضاري بكل المقوّمات بما في ذلك الدين القويم.

ثالثاً: توفير الدعم المادي والعسكري للحركة الفدائية الفلسطينية.

لابد لنا قبل الخوض بذكر وسائل الدعم المادي للحركة الفدائية أن نقرر ما يأتي:

أولا:يجب أن يكون دعم العالم العربي المادي للعمل الفدائي كبيراً ومنتظماً حتى يمكن الفدائيين من انجاز مهمتهم على خير مايرام.

ثانياً: يفضّل أن يكون الشطر الأكبر من الدعم المذكور على شكل أسلحة ومعدات حتى نستطيع التوفير بأثمان الأسلحة ولأنّ الدول تشتري السلاح عادة بثمن أرخص مما يشتريه الافراد.

ثالثاً: يستحسن أن يكون الدعم المذكور عن طريق الجامعة العربية وعن طريق منظمة التحرير الفلسطينية معاً على أن يكون لكل منهما نوع من الإشراف والمعرفة في الطريقة التي تجبى بها مبالغ الدعم المادي وتلك التي تعرف بها.

أما الوسائل التي نقترحها لتحقيق الدعم المادي العربي للعمل الفدائي هي:

أ. إنشاء مؤسسة في كل بلد عربي نسميها صندوق الجهاد الفلسطيني تودع بالمصارف لحسابه جميع المبالغ التي تتوفر لدعم العمل الفدائي الفلسطيني وتعد ليبيا دولة رائدة في هذا المضمار، لأنّها أنشأت فعلاً صندوق الجهاد العربي وورد في جريدة (النور) أنّ مجلس قيادة الثورة الليبي قرر (انشاء صندوق مالي بإسم صندوق الجهاد) ويستهدف المساهمة في بناء القوات المسلحة الليبية ولدعم إستعداد الدول العربية في نضالها العادل وسيموّل الصندوق الإعتمادات المالية التي تخصصها الحكومة والرسوم التي

تقررها. وجوّز مجلس الثورة فرض رسوم لصالح الصندوق[1] ويجب أن يختلف الصندوق الذي نقترح إنشاءه عن الصندوق الليبي القائم بما يأتي:

١. أن تكون موارد الصندوق المقترح خاصة بدعم العمل الفدائي دون الدول العربية

٢. أن تكون موارده مكونة من التزامات الدول العربية المالية تجاه العمل الفدائي، ومن الموارد المالية الشعبية التي يجود بها الأفراد والمؤسسات غير الرسمية للعمل المذكور، أن تخصص العمل الفدائي الفلسطيني بصندوق منفصل ليحفظ له صفته الشعبية، ويكون من شأنه أن يحث أبناء الشعب على تبني مشروعاته والتبرع له،وذلك أنّ الشعب العربي، نظراً لفقدانه الثقة بكثير من حكوماته فيما مضى. قلما يشارك مشاركة حقيقية بالأعمال التي تتبناها الحكومات بمعزل عن المؤسسات الشعبية.

ب. إصدار طابع بأسم الطابع الفلسطيني توكل مهمة إصداره وجباية مواردة للجامعة العربية ولمنظمة التحرير الفلسطينية معاً. ويقع عبيء المبلغ المفروض للعمل الفدائي على المواطن والدولة التي يستعمل فيها. فإذا كان ثمن الطابع البريدي الداخلي (١٥) فلساً في الوقت الحاضر يصبح ثمنه (٢٠) فلساً ويخصص نصف حصيلته للعمل الفدائي. وتوزع الطوابع المذكورة على الدول العربية طبقاً لعدد سكان كل دولة وضخامة مواردها.

ج. يُسْتَقْطَع نصف بالمائة من رواتب الموظفين في كل دولة عربية وتخصص حصيلته لصندوق الجهاد الفلسطيني.

د. ترفع سيكارة من كل علبة سكاير وتوضع محلها ورقة تحمل عبارة (العمل الفدائي الفلسطيني) ويخصص ثمنها للصندوق.

هـ. تخصيص مايصح صرفه شرعاً من الحقوق الشرعية لدعم الفدائي.

إنّ صرف الحقوق الشرعية على العمل الفدائي أمر يحدده علماء المسلمين الأعلام لذا وجب على كل مكلف. أفراداً أو حكومات. أن يستأذن المراجع الشرعية لصرف

(١) النور. العدد ٣٧٦. ١١ كانون الثاني ١٩٧٠م.



مايجوز صرفه من الحقوق الشرعية على العمل الفدائي. ونقترح أنْ ينظر العلماء في إمكان صرف أثمان ضحايا العيد والحج للعمل الفدائي.

وقد ورد في الجرائد المحلية أنّ جماعات من الشعب الليبي استناداً الى فتوى المفتي الليبي قدمت زكاة الفطر لدعم العمل الفدائي. كما بيّنت الجرائد نفسها أنّ هناك فتوى من المفتي نفسه تقول إنهّ: (يصح شرعاً التبرع للثورة الفلسطينية بمصاريف وتكاليف الحج).

وقد وجّه سؤال الى سماحة المرجع الاسلامي الأعلى السيد محسن الطباطبائي الحكيم هذا نصه: ماقول مولانا برجل يعلم بأن اليهود والصهيونية وإسرائيل أعداء الإسلام وأنهما الخطر المحدِقْ بالإسلام وببلاد المسلمين ويعلم بأن إسرائيل قائمة على الاغتصاب والعدوان ولم ينفق من ماله لمحاربتها بواسطة المنظمات الفدائية أو بواسطة الجيوش العربية المخلصة .فهل هو مأثوم أم لا؟

فأجاب سماحته: نعم مأثوم مع رجاء الإنتصار وتوقفه على بذل المال[1].

و. تخصيص مبالغ من واردات الأوقاف الإسلامية حسب الطريقة والنسبة التي يحددها علماء المسلمين.

أما دعم العمل الفدائي عسكرياً فيترك الجانب الرسمي منه إلى أهل الاختصاص من سياسيين وعسكريين في البلاد الاسلامية والعربية.

أما إسهام الشعب في دعم الفدائيين عسكرياً فيتم عن طريق التطوع في صفوف العمل الفدائي وقد بَيّنا فيما سبق أن المسلمين في العصور السابقة عدّوا الجهاد ضد المغتصبين من أهم الأعمال وأكثرها قربة من الله، وقد أيدّت طائفة من علماء المسلمين المعاصرين ضرورة الانخراط في صفوف الفدائيين المجاهدين.

---

(١) رسالة الاسلام العددان ٦ نيسان ١٩٦٩م ص ١٥٦.



وجّه السؤال التالي إلى سماحة السيد المجتهد الأكبر السيد محسن الحكيم[1].

ما قول مولانا بالجندي المسلم المشكوك في صومه وصلاته والذي يقتل أثناء محاربته اليهود خصوصاً عندما تكون إسرائيل هي الباغية والمعتدية بغية احتلال أراضي جديدة. فهل هو شهيد عند الله ام لا؟

فأجاب سماحته: اذا قاتل برجاء الإنتصار تقرباً إلى الله سبحانه فهو شهيد إذا قتل[2].

وبعد أن استعرضنا الحركة الفدائية في الإسلام قديماً وحديثاً نقول أن الحركة الفدائية الفلسطينية حركة جهاد مقدس تستحق أن نوليها عظيم اهتمامنا وأقصى تضحياتنا، ويجب أن يكون موقفنا نحو جهاد الفدائيين الفلسطينين منبعثاً ومنسجماً مع مواقف المسلمين الأول نحو رسول اللهﷺ في مواقف مماثلة. روى ابن هشام أنّ رسول اللهﷺ يوم عَلِمَ بقدوم قريش لمحاربته استشار المسلمين فتكلّم جماعة في الجهاد وكان المقداد بن عمرو من بينهم، فقال: يارسول الله، إمضي لما أراك الله فنحن معك،والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى «إذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرِك الغماد لجالدنا معك من دون حتى تبلغه، فقال له رسول اللهﷺ خيراً ودعاء له به))[3].

فعلينا والحالة هذه أن تقول اليوم للفدائيين كما قال أسلافنا لرسول اللهﷺ في يوم المحنة قاتلوا عدوكم من الصهاينة الغاصبين فأننا معكم مقاتلون بأموالنا وأقلامنا وأنفسنا وإلا فلعنة التاريخ ستنصب علينا. والتاريخ كما هو معلوم لا يرحم المتخاذلين المتواكلين عصمنا الله جميعاً إنّه سميع مجيب.

***

(١) ايضاً. العددان ١ و٢، ١٩٦٨م ص ٩١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن هشام، السيرة ج ٢ القاهرة ١٩٣٦ ص٢٦٦.